مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (6)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (6) 2013

الملامح الرومانسية في شعر حامد حسن.

الدكتور محمد معلا حسن*

(تاريخ الإيداع 5 / 6 / 2013. قبل للنشر في 11 / 9 / 2013)

□ ملخّص □

ينتمي الشاعر حامد حسن إلى جيل من الشعراء، نشأ، وترعرع على قواعد المدرسة الكلاسيكية في الشعر العربي، كما واكب ألق الإبداع الرومنسي عند صفوة شعرائه، فتأثر بإبداع المدرستين، ومزج بين قيمهما الفنية، إلى درجة يصعب فيها تحديد موقعه منهما.

تطمح هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الملامح الرومنسية في إبداع الشاعر، وذلك من خلال ما تحمله الصورة الفنية من الجدة والابتكار ، والعواطف الإنسانية الحارة ، وما تحمله اللغة الشعرية من العبارة الرشيقة ، والصياغة الأنيقة بمفرداتها ،وتراكيبها الهامسة خافتة النبرة ، والموسيقا الشعرية ،وما تحمله من غنائية عذبة ببعديها الداخلي والخارجي . الموسيقا الداخلية التي تصدر عن رقة الصياغة ، وانسجام اللفظ مع اللفظ .والموسيقا الخارجية المتمثلة بالوزن العروضي ، وإيقاع القافية ، وحرف الروي ، إضافة إلى الرؤية الفنية للواقع التي تجلت في إلغاء الواقع الموضوعي، والإتيان بواقع آخر، قد يكون خيالياً أو مثالياً ، أو قد يجمع الاثنين معاً ، وقد تجلى ذلك في قصائد رومانسية، تحدث بها عن الحب ، والمغامرات العاطفية .

الكلمات المفتاحية:

الكلاسيكية الرومانسية
الصورة الشعرية اللغة الشعرية
الموسيقا الشعرية الرؤية الفنية

☆☆☆

* أستاذ مساعد– كلية الآداب الثانية – جامعة تشرين– طرطوس– سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (35) العدد (6)2013
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (35) No. (6) 2013

Romanticism in Hamed Hassan's Poetry

Dr. Muhammad Mualla Hassan *

(Received 5 / 6 / 2013. Accepted 11 / 9 / 2013)

□ ABSTRACT □

Hamed Hassan belongs to a generation of poets who grew up according to the conventions of Classicism in Arabic poetry. He was also a contemporary of the fascination of Romantic originality represented by its elite. He was, thus, influenced by the creativity of both schools, and he mixed their artistic values to an extent with which it became so hard to determine to which school he belonged.

This study endeavors to shed light on the romantic features of the poet's creativity. This occurs through the artistic image which is serious and full of human emotions. In addition to that the poetic diction is characterized by unique coinage. Poetic musicality implies external as well as internal dimensions. The artistic vision which cannot be overlooked , appears clearly in the poet's rejection of the existing reality and replacing it with another reality which can be fictious or ideal or both. All of this appears in his romantic poems which centre on love and emotional adventures

Keywords: Classicism- romanticism- poetic imagery- poetic language- poetic musicality- artistic vision.

* **Associate Prof., Second Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Tartous, Syria.**

مقدمة:

ينتمي حامد حسن إلى جيل من الشعراء، نشأ وترعرع في كنف الكلاسيكية، فتربى على إبداع فحول شعرائها، وقيمها الفنية، كما شهد وواكب ألق الإبداع الرومنسي عند صفوة شعرائه، فتأثر بإبداع المدرستين ومزج بين قيمهما الفنية إلى درجة يصعب فيها تحديد موقعه منهما.

لقد واكب حامد حسن حركة تطور الشعر العربي في رحلته الفنية من الكلاسيكية إلى الرومانسية، ولكنه لم يذهب أبعد من ذلك، فبقي وفياً لأوزان الخليل، وأصول البلاغة العربية، تحدوه نزعة تجديدية، ولكن في إطار المحافظة على جوهر الأصالة، وفتح الأبواب مشرعة على رياح التجديد، وقد أطلق النقاد على هذا الجيل من الشعراء بـ: ((**شعراء الكلاسيكية الجديدة**))، التي مثلت جسر العبور من الكلاسيكية إلى الرومانسية.

إن السمة الأساسية في إبداع هذا الجيل، أنه جمع في إبداعه الشعري بين السمات والملامح التي قام عليها الشعر الكلاسيكي من الاهتمام بالشكل التعبيري، وفصاحة اللغة، والاعتماد على النزعة العقلية في التعبير عن القضايا، وبين السمات والملامح الرومانسية في سعيها إلى التخلص من التقليد، والتبعية للماضي، وإبداع شعر جديد أكثر حرارة، وارتباطاً بالحياة والمعاناة الإنسانية بلغة فصيحة، ولكنها بسيطة مألوفة مأنوسة بعيدة عن الغرابة والتعقيد، جياشة بحرارة العاطفة، وصدق التعبير، محلقة على جناح الخيال إلى أبعد مدى.

وكثيراً ما نجد هذه السمات الكلاسيكية والرومانسية، تتشابك، وتتواشج في النسيج الشعري عند هؤلاء الشعراء إلى درجة يصعب الفصل فيما بينها وتحديد هويتها الفنية، ففي الوقت الذي تطغى فيه الملامح الكلاسيكية في موضوعات الوصف، والمديح، والرثاء وغيرها من الموضوعات التقليدية، تطغى الملامح الرومانسية على الشعر العاطفي الوجداني المفعم بحرارة المشاعر الإنسانية ودفء العاطفة.

تسعى هذه الدراسة إلى البحث عن الملامح الرومانسية في إبداع الشاعر حامد حسن،و محاولة كشف تلك السمات، على ضوء ما تحمله المدرسة الرومانسية من سمات آملين التوفيق في هذه المهمة وتقديم ما فيه المتعة والفائدة.

أهمية البحث وأهدافه:

تنبع أهمية هذه الدراسة من تسليطها الضوء على إبداع شاعر، لم يلقَ حتى الآن ما يستحقه من الدراسة والنقد على الرغم من تميّزه وتفرّده، وتهدف إلى تحديد الملامح الرومانسية عند شاعر من الصعوبة بمكان تحديد موقعه بين المدارس والمذاهب الأدبية، وهو موضوع جديد يعكس جهداً تطبيقياً في إبراز جماليات هذا الإبداع وفق معايير، وسمات تميز المذهب الرومانسي في الشعر عن غيره من المذاهب الأدبية، وذلك من خلال قضاياه الفنية في الصورة الشعرية، اللغة الشعرية، الموسيقا الشعرية، والرؤية الفنية. إضافة إلى قضايا أخرى مثل الشعور بالوحدة وتمجيد الألم وحب الطبيعة.

منهجية البحث:

اعتمدنا في هذه الدراسة منهجاً استقرائياً تحليلياً وصفياً ، هو أقرب ما يكون إلى المنهج التكاملي كما يسميه بعضهم، يدرس الظاهرة الفنية في سياقها الإبداعي، ويعمل على تعريتها، ومن ثم تحليلها، وتوصيفها، وبالتالي إبراز جمالياتها الفنية وصولاً إلى تحديد ملامحها وسماتها من خلال نماذج مختارة من النصوص الإبداعية ،لأن منهج البحث هو الطريقة التي يصل بها الباحث إلى حقيقة في موضوع من الموضوعات أو قضية من القضايا.

تمهيد:

لكل مذهب من مذاهب الأدب، أو مدرسة من مدارسه السمات والملامح الخاصة التي تميزه عن غيره، أو تميزها عن غيرها، وقد عرّف الدكتور **رضوان القضماني** المدرسة الأدبية في كتابه **مبادئ النقد ونظرية الأدب**، بقوله: ((هي مجموعة من الأدباء، تشابهت أساليبهم الفنية، وتوجهاتهم الفكرية، ونزعاتهم العقائدية، ونظرتهم الجمالية، وتقاربت إلى أن ألفت مذهباً له جماعته، وروّاده، وأتباعه))[1]، وهي عند الدكتور عبد المنعم تليمة: ((جزء من بناء ثقافي عام يعبر عن مرحلة من مراحل تطور المجتمع))[2].

والمدرسة الرومانسية مدرسة أدبية، أعقبت المدرسة الكلاسيكية من حيث الظهور، وأول ما ظهرت في أوروبا مع ظهور الثورة الفرنسية، لأن ظهور المدارس أو المذاهب الأدبية مرتبط، كما يرى الدكتور القضماني، بظهور حركات اجتماعية سياسية اقتصادية ثورية تحدث تغييراً جوهرياً في بنية المجتمع، وانعطافاً حاسماً في مسار تطوره، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى عمت الرومانسية جميع أنحاء أوروبا[3].

أما الرومانسية في الشعر العربي، فقد ظهرت من التأثير الذي تركه التأثير الثقافي الأوروبي على المتنورين العرب، الذين عرفوا الرومانسية الأوروبية عن طريق الاحتكاك الثقافي، الذي تمَّ عن طريق البعثات التبشيرية التي أرسلت إلى الغرب في مطلع عصر النهضة العربية التي ابتدأت بعهد **محمد علي باشا** في مصر.

من المعروف أن لكل مدرسة أدبية خصائصها وسماتها، التي تتميز بها وتحدد هويتها الفنية، فمن سمات المدرسة الكلاسيكية، مثلاً: الاهتمام بالشكل التعبيري، والعقلانية، وتقليد القدماء، والنزعة التعليمية الأخلاقية التي ترمي إلى تحقيق المتعة والفائدة عند المتلقي.

أما المدرسة الرومانسية، فمن سماتها الاهتمام بالمضمون أكثر من الشكل، وتقديم العاطفة على العقل، والإيغال في الخيال، والإغراق في الغنائية، وسيادة الذاتي على الموضوعي، وتمجيد العبقرية الفردية، وحب الطبيعة، والهروب إليها من ظلم المجتمع وقساوته، لذلك اعتبر الأدب الرومانسي أدب نزوع إلى الثورة، والتمرد، والقلق، والتعلق بالمطلق واللامحدود[4].

إن تلك السمات تبدو واضحة وجلية في إبداع الشاعر الرومانسي، وهي التي تمنحه هذا التصنيف، وتعزز انتماءه إلى تلك المدرسة، ولكن المهم هنا كيف يمكننا أن نتلمس تلك الملامح، ونبرز تلك السمات، عند شاعر مخضرم يمثل جسر العبور من الكلاسيكية إلى الرومانسية كالشاعر حامد حسن؟

إن الانتقال من مدرسة أدبية إلى أخرى، بحكم عملية التطور، لا يتم دفعة واحدة، وإنما يتم بالتدريج على شكل تراكمات تحمل ملامح المدرستين معاً، والشعراء الذين يعيشون هذا التحول هم أشبه بالشعراء المخضرمين الذين يعيشون في مرحلتين مختلفتين، فتترك كل مرحلة بصماتها الخاصة على إبداعهم. فإذا ما سلطنا الضوء على مرحلة الانتقال من الكلاسيكية إلى الرومانسية في الشعر العربي المعاصر وجدنا مجموعة من الشعراء يحملون في إبداعهم الشعري ملامح كلاسيكية لأنهم بدؤوا تلاميذَ في تلك المدرسة، ولكن سرعان ما تأثروا بالمدرسة الرومانسية، وما تحمله من خصائص وسمات، وهذا ما أطلق عليه النقاد اسم: ((**الكلاسيكية الجديدة**))، ولا نحسب شعراءً كباراً من شعراء سوريا، أمثال: بدوي الجبل، عمر أبو ريشة، نديم محمد، سليمان العيسى، حامد حسن، إلا منهم.

---

(1) : د. رضوان القضماني: مبادئ النقد ونظرية الأدب، منشورات جامعة البعث، مديرية الكتب والمطبوعات، 1995-1996م، ص136.

(2) : د. عبد المنعم تليمة: مقدمة في نظرية الأدب، ط 2، دار العودة، بيروت، 1979 م، ص 161.

(3) : د. رضوان القضماني: مبادئ النقد ونظرية الأدب، مرجع سابق، ص 136.

(4) : د. رضوان القضماني: مبادئ النقد ونظرية الأدب، مرجع سابق، ص 156-157.

إن تعرية ملامح الرومانسية عند شاعر بجذور كلاسيكية، ليس بالأمر السهل، حيث تتشابك وتتداخل ملامح المدرستين، فتطغى ملامح رومانسية في نص، وتطغى ملامح كلاسيكية في آخر، وتميل الملامح إلى التوازن والتقارب في نص ثالث.

نحن في هذه الدراسة سنسعى جهدنا إلى تعرية الملامح الرومانسية في شعر حامد حسن، من خلال ما يحمله إبداعه الشعري من تلك الملامح في صوره الشعرية، ولغته الشعرية، وموسيقاه، ورؤيته الفنية.

أولاً: الصورة الشعرية

يعرّف **إلياس خوري** الصورة الشعرية فيقول: ((هي الوحدة الصغيرة التي يتوقف عندها العمل الشعري في تتابعيته))[5]. ويرى الدكتور **نعيم اليافي**، أنها: ((وحدة تركيبية يتلمسها الشاعر في كل مكان، ويخلقها بجميع حواسه، وبكل قواه الذهنية والشعورية))[6].

ويرى الدكتور **عز الدين إسماعيل**، أنها: ((تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع))[7]، كما يطلق عليها مصطلح التوقيعة ((وهي تمثل أصغر وحدة يمكن أن يقسم إليها النسيج الشعري))[8].

لقد أطلق الرومانسيون لخيالاتهم العنان، وتجاوزوا الصورة القديمة، وحلقوا بخيالاتهم في آفاق رحبة حرة، فأبدعوا صوراً أدبية نضيرة مبتكرة، وشحنوها بعواطف إنسانية حارة، تفيض حماسة ورقة.

ويرى الدكتور **أحمد دهمان** أن الصورة الشعرية: ((تعبير عن نفسية الشاعر، ووعاء لإحساسه وفكره، تعين على كشف معنى أعمق من المعنى الظاهر، إذ تقدم عقدة فكرية وعاطفية في برهة من الزمن، وتوحد بين تلك الأفكار المتفاوتة. وهي الوسيلة الفنية الجوهرية لنقل التجربة التي تحتوي على نفسية الشاعر))[9].

ومهما قيل في فلسفة الصورة الشعرية، وتحديد أركانها وأبعادها ودلالاتها الفنية والمعنوية، فإن ما يهمنا هنا هو الملامح والسمات التي تحملها الصورة الرومانسية، ولا يتضح ذلك جلياً إلا بمقارنتها بالصورة الكلاسيكية، وتحديد أوجه التشابه والاختلاف، فالصورتان تشتركان في البناء باعتمادهما على التشبيه والاستعارة، إذن هما صورتان تشبيهيتان استعاريتان، ولكنهما تختلفان في توظيف التشبيه والاستعارة، فالصورة الكلاسيكية صورة محاكاة لأنها تحاكي الواقع، فهي أقرب إلى الموضوعية، وبحكم اعتمادها على التقليد والقوالب التعبيرية الجاهزة، فقد تبدو مكرورة ومألوفة، أما الصورة الرومانسية فهي صورة تعبيرية لأنها لا تحاكي الواقع أو تقلده بل تعبر عنه، لذلك فهي أقرب إلى الذاتية. وبما أن الشاعر الرومانسي يخلق لغته الخاصة به بعيداً عن المحاكاة والتقليد، فإنه يبدع صوراً جديدة غنية بالخيال والعاطفة.

إن المتمعن في الوجه الرومانسي لإبداع حامد حسن الشعري الذاتي والوجداني، يطالعه الكثير من تلك الصور الرومانسية الساحرة، فيقول في قصيدة بعنوان ((**صانع تشرين**))[10]:

---

(5) : إلياس خوري: دراسات في نقد الشعر، ط 1، دار ابن رشد للطباعة والنشر، 1979، ص 170.

(6) : د. نعيم اليافي: مقدمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1982، ص 49.

(7) : د. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط 5، دار العودة، بيروت، 1988 م، ص 127.

(8) : د. عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، لا ناشر، لا تاريخ، ص 66.

(9) : د. أحمد دهمان: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجاً وتطبيقاً، ط 1، دار طلاس، دمشق، 1986 م، ص 299.

(10) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، لا ناشر، لا تاريخ، ص 61.

عمّدت شعري باللظى، وغمسته بالطيب مسفوحاً، وبالشفق الندي
وخضبته بدم الأصيل وعطره وعصرت ثغر المشرق المتورّدِ

لو أخذنا الصورة الأولى ((عمدت شعري باللظى))، فمما لا شك فيه أن الشاعر يتحدث عن انتصار تشرين على العدو الصهيوني، فهل يفخر الشاعر بشعره أم بمجد تشرين؟ إنه يريد أن يعمد شعره بالنار ليكسبه فخراً وجلالاً، فالنزعة الذاتية واضحة متمثلة بضميري المتكلم ((عمدت شعري))، وتستمر هذه النزعة في بقية الصور ((غمسته بالطيب))، ((خضبته بدم الأصيل))، ((عصرت ثغر المشرق المتورّد)). في كل هذه الصور يبقى الحديث عن شعر الشاعر، ويبقى ضمير المتكلم سائداً ومسيطراً بحيث تطغى النزعة الذاتية على الموضوع إلى درجة يتساءل فيها القارئ: هل يتحدث الشاعر عن روعةِ شعره أم روعة حرب تشرين التحريرية؟

إن الشاعر من الناحية الفنية، لم يخرج عن استخدام أدوات البلاغة القديمة من تشبيه واستعارة في رسم صوره الشعرية، فشعره في الصورة الأولى أصبح إنساناً تطبق عليه طقوس المعمودية، ولكن الغريب في الأمر أنه يعمده بالنار بدل الماء، أو على الأقل بالدماء لأنها من السوائل، ولكنه آثر أن يحلق بعيداً على جناح الخيال ليأتي بهذه الصورة المدهشة والغريبة، وليجعل الصورة أكثر خصوبة وإيحاءً. الحالة نفسها تتكرر عندما يقول: ((وخضبته بدم الأصيل))، ولم يقل: وخضبته بدماء الشهداء، لأنه لايريد أن يحاكي الواقع بل يريد أن يعبّر عنه.

ومن صور الشاعر الرومانسية الغريبة قوله[11]:

أنا كالدجى العربيد خيّم بين أجفان الضريرِ

يشبّه الشاعر نفسه بالظلام العربيد الذي يعيشه الأعمى، ولكن بصورة غريبة ومبتكرة، فلم نألف شاعراً يقول عن نفسه بأنه يشبه الظلام! وأي ظلام، الظلام العربيد الذي أصبح قدر الأعمى يرافقه مدى الحياة. فهل أصبحت حياة الفقر التي يعيشها الشاعر في كوخه البائس قدراً سيرافقه مدى الحياة؟ واجتماع العربدة التي تحمل معاني القلق والاضطراب والقسوة والمعاناة والتخييم الذي يدل على السكون، والاستقرار والهدوء بين حدي الصورة لا يدعو كما قد يظن بعضهم إلى التناقض والنفور، إنما يزيد من خصوبة وجمالية الصورة ويجعلها أقرب إلى الصورة الحديثة، التي تستمد جمالها من التنافر والتناقض بين قطبي الصورة، إذ تقرب بين المتباعدات، ولا ننسى هنا ضمير المتكلم ((أنا)) المعبر عن النزعة الذاتية في الصورة، فيجعلها صورة رومانسية بامتياز.

ومن صور حامد حسن الرومانسية المبتكرة قوله في قصيدة بعنوان ((**حواء**))[12]:

البيت تفجّر أضواءَ والدار تراقص إغراءَ
والشرفة تهمس ماجنةً وتضم وتغمز إيماءَ

يفصح الشاعر حامد حسن في هذين البيتن وما يحملانه من صور رائعة، عن إحساسه بالأنثى، لذلك عنون القصيدة ((حواء))، ولكن عن أية حواء يتحدث: عن حواء الجمال، عن حواء السحر عن حواء الحب والعشق؟

ففي الصورة الأولى ((البيت تفجّر أضواءَ)): تعبير عن حالة انبهار بحضور الأنثى، وفي الصورة الثانية ((الدار تراقص إغراء)): خروج من حالة الانبهار للتركيز على مفاتن حواء وما تثيره من إغراء، أما في الصورة الثالثة ((والشرفة تهمس ماجنةً)): فهي ردة فعل ذكورية من الشاعر على هذا الإغراء والجاذبية، إنه طقس احتفالي رومانسي بالحضور الأنثوي يرمي إلى اللقاء وإكمال مسيرة الحياة الإنسانية.

(11) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 61.
(12) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 179.

أما بالعودة إلى الصور فقد استخدم الشاعر أسلوب الصدمة للفت الانتباه، ولاسيما في الصورة الأولى، فخبر تفجّرِ البيت صادم يستفز الأعصاب، ولكن عندما ندرك أنّ هذا التفجير ليس تفجيراً إرهابياً، إنما هوتفجيرٌ مشتهى ومحبَّبُ ، لأنه تفجُّرٌ بالأضواء والإغراء والإثارة، تنبسط المشاعر وتهدأ.

وهذا ما يعزز الصبغة التعبيرية الرومانسية لتلك الصور التي تنتهي إلى حالة غزل ماجنٍ بين عاشقين يستمتعان بعشقهما بين همز وضم وغمز وإيماءٍ. إنه لا يرسم صورة لهذين العاشقين، بل يعبّر عن حالتهما في عالم رومانسي حالم.

إن كثيراً من الصور الفنية في شعر حامد حسن هي صور ذات صبغة رومانسية، وهي في أغلبها صور ذاتية خيالية تميل إلى الغرابة والجمع بين المتناقضات في نسيج الصورة، وهي صور حالمة غنية بالمشاعر والأحاسيس، والعواطف الجياشة تعكس إحساس الشاعر بالحياة والمعاناة الإنسانية.

ثانياً: اللغة الشعرية

تختلف اللغة الشعرية الرومانسية عن اللغة الشعرية الكلاسيكية، فاللغة الكلاسيكية لغة تقليد ومحاكاة، وهي تعتمد على الأبنية والتراكيب القديمة الجاهزة المعروفة في التراث العربي، ويتحدث الدكتور عز الدين إسماعيل في كتابه **الشعر المعاصر في اليمن**، عن لغة الشاعر الكلاسيكي، بقوله: ((إنه يبني عمله الشعري بطريقة مضمونة، حيث يستخدم المعجم والأبنية والتراكيب التي سبق استخدامها في الشعر من قبل. وهو بذلك يتجنب مغامرة خلق اللغة الخاصة به. وهو بذلك كمن يأخذ أعمدة من بناء قائم بقواعدها وتيجانها، والعقود التي تصل بين بعضها بعضاً، لكي يعيد تركيبها في مكان آخر))[13]. وقد تميزت الأبنية والتراكيب الكلاسيكية بأنها أبنية وتراكيب جهورية عالية النبرة فصيحة ومنتقاة بعناية، وذلك من خلال اهتمام الكلاسيكيين بالشكل التعبيري.

أما بالنسبة إلى اللغة الرومانسية كما وصفها د. عز الدين إسماعيل، فهي تتميز بـ: ((خفوت في نبرة الشعر وهدوء في النفس، وكأنّ الشعر عندئذٍ صار حديث الذات إلى ذاتها))[14].

إن الأبنية والتراكيب الرومانسية كما يراها الدكتور إسماعيل هي أبنية جديدة غريبة مثيرة للمشاعر وذلك في قوله: ((وهذه التراكيب تقوم بدور أساسي في إثارة المشاعر المرهفة والرؤى الغريبة المثيرة. وهذا راجع إلى العلاقات الجديدة التي يُنشئها الشاعر بين هذه المفردات، وتبادل الحواس وظائفها الأصلية في تلقي الأشياء))[15].

لقد تطلب التجديد الرومانسي تطويراً للغة الشعرية فاستعمل الشعراء اللغة المأنوسة المألوفة القريبة من حياة الناس، وشحنوها بطاقات عاطفية وخيالية رقيقة مصورة، وتناغمت الألفاظ مع بعضها في بيان ذي علاقات إيحائية. ولم يشذوا في هذا كلّه عن الاشتقاقات اللغوية المعجمية، أو القواعد النحوية والصرفية، وإنما وفّروا للتراكيب الشعرية المتانة في انسجام ورقّة[16].

والشعر الرومانسي هو شعر مهموس لأنه شعر ذاتي، وهو حديث الذات إلى ذاتها، فليس من يتحدث إلى ذاته مواسياً كمن يقف على منبرٍ، ويريد أن يصل صوته إلى جموع الناس.

---

(13) : د. عز الدين إسماعيل: الشعر المعاصر في اليمن، الرؤية والفن، ط 2، دار العودة، بيروت، 1979 م، ص 244.

(14) : د. عز الدين إسماعيل: الشعر المعاصر في اليمن، الرؤية والفن، مرجع سابق، ص 247.

(15) : د. عز الدين إسماعيل: الشعر المعاصر في اليمن، الرؤية والفن، مرجع سابق، ص 249.

(16) : د. نسيب نشاوي: المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، لا ناشر، دمشق، 1980 م، ص 164.

والشاعر حامد حسن في ملامح شعره الرومانسي لم يخرج عن نظرة الرومانسيين إلى اللغة، إذ يقول: ((كلمة حيّة معبرة مسؤولة، جملة مخملية متناغمة، هذا هو التعبير))[17].

إن الكلمة الشعرية عند حامد حسن حياة، والحياة نمو وتجدد وتطور، بعيداً عن الجمود والوقوع في شراك التقليد والمعاني المعجمية، وهي كلمة معبّرة موحية غنية بالدلالات التي تحملنا إلى نظرية التعبير التي اعتمدها الرومانسيون في فلسفة الفن.

بعد أن عرّفنا بملامح اللغة الرومانسية عند شعراء الرومانسية، نسأل: كيف ظهرت تلك الملامح في شعر حامد حسن؟ إننا نجيب عن هذا السؤال من خلال **تقديم نماذج** من شعره الرومانسي:

يقول الشاعر حامد حسن في قصيدة بعنوان ((**كوخ الشاعر**))[18]:

شاعر... إن يعبس الدهر ابتسم عاش أغنى الناس لكن بالألم
مرحباً بالجرح هداراً... ولا بورك الجرح إذا الجرح التأم
ألم... شعر... عذاب، كلّها نعمٌ، فليغدق الله النعم

على الرغم من أنه لا يشك ناقد أن هذه الأبيات تزخر بالمعاني الرومانسية من شكوى وتمجيد الألم الذي يعده الشاعر نعمة، ويطلب من الله أن يزيد تلك النعمة، فإن اللغة تبدو ملتبسة فهي تحمل ملامح كلاسيكية، كما تحمل ملامح رومانسية، فهي رومانسية في هدوئها وخفوت نبرتها وقربها من لغة الحياة اليومية، ((مرحباً بالجرح هدّاراً، عاش أغنى الناس بالألم، ألم، شعر، عذاب))، وهي تحمل ملامح كلاسيكية في استخدامها عدداً من التراكيب الجاهزة المعروفة: ((عبس الدهر، بورك الجرح، يغدق الله النعم)).

وكلما زادت تجربة الشاعر غنى أصبحت الملامح الرومانسية في شعره أكثر وضوحاً ولاسيما في شعره الوجداني الذاتي يقول حامد حسن في قصيدة بعنوان ((**الحقيقة والحياة**))[19]:

في الحقل حيث الله يسكبُ روحه بللاً على الأوراد والأعشاب
نغفو على مقل السكون، ونرتمي في لجّ حلم، ثائرٍ صخّاب
حرم الهوى الطاغي أطوف حياله ومَرَغْتُ أجفاني على الأعتاب

لقد اعتمد الشاعر في أبياته على اللغة الخيالية المجنحة بمفرداتها المألوفة السهلة، وتراكيبها التي تبدع صوراً غريبة مبتكرة تعتمد على براعته في استخدام اللغة من حيث تشكيل الألفاظ وإبداع التراكيب الغريبة، فيبدأ البيت الأول بالجار والمجرور، ويستخدم ((يسكب الله روحه بللاً))، فيقدم ويؤخر، و((نغفو على مقل السكون، نرتمي في لج حلم، حرم الهوى الطاغي، مَرَغْتُ أجفاني على الأعتاب)): كلها تراكيب جديدة ومبتكرة تخلق صوراً رومانسية غريبة ومجنحة.

(17) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 19.
(18) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 47.
(19) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 308.

ويقول الشاعر حامد حسن في رثاء الشاعر رفيق فاخوري من قصيدة بعنوان ((**لا تجزعنّ من العقوق**))[20]:

ستظلُّ في وتر البيان قصيدة وعلى شفاه الفجر رشّة عندم
وإذا الشتاء أتى أحالك نغمة في الجدول المترنح المترنّم
حتى إذا وفد الربيع وبرعمت أوراده كنت الشذى في البرعم
وترفّ في الصيف الوهيج غمامة يصبو إلى قطراتها الكبد الظمي

عندما وقف الشاعر يرثي صديقه الراحل لم يستخدم اللغة الكلاسيكية مشيداً بمناقب الفقيد ومآثره، كما يفعل شعراء الرثاء عادة، إنما رثاه بلغة شعرية جديدة مستخدماً أبنية وتراكيب غير مألوفة، مثل: ((وتر البيان، شفاه الفجر، أحالك نغمة، الجدول المترنم، وفد الربيع، كنت الشذى في البرعم)). وهكذا نجد أنه كلما تقدمت تجربة الشاعر وازدادت نضوجاً كلما ازدادت اللغة الرومانسية عند الشاعر ألقاً وغرابة، وتوضحت ملامحها وتعمقت دلالاتها التعبيرية.

والشاعر حامد حسن بارع في استخدام مفردات اللغة ولديه معجم شعري غزير يعرف كيف يختار الكلمة الفصيحة ويوظفها في صيغ مدهشة، قلما ترد عند غيره من الشعراء الرومانسيين وهي ميزة لم نرَها عند غيره من الشعراء. يقول[21]:

البحر أخصرُ والسفو ح الفيح والقمم الشجيرة

ويقول[22]:

وطاف على بحري شراعاً تقوده أناغيم أمواجي، وهوج رياحي

ويقول[23]:

تطلّع نحوي ضارعاً متعجلاً لهيفاً كما يستعجل الموعد الصبّ
صبا الدرب للنجوى عتاباً مدللاً غنوجاً ومن طبع المدللة العتب

ويقول[24]:

وتقيّل التاريخ في أعتابه فتعطرت صفحاته وتذهّبا

ويقول[25]:

إذا بطر الزمان وغاضبوه تضرّع يستتيبهم الزمان

إذا أمعنا النظر في الأبيات السابقة، طالعتنا مفردات فصيحة، قلما نصادفها في النسيج الشعري، مثل: الفيح، الشجيرة، أناغيم، لهيفاً، غنوجاً، تقيّل، تذهّب، يستتيبهم.

(20) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 381.
(21) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 387.
(22) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 86.
(23) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 228.
(24) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 261.
(25) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 342.

وعلى الرغم من أن هذه المفردات غريبة على النسيج الشعري، فقد جاءت في روعة الأناقة والانسجام، أغلبها يعود إلى اشتقاقات لغوية معروفة تدلُّ على براعة ومهارة في استخدام اللغة وفهم أسرارها، وليس الأمر غريباً من شاعر ألف صداقة اللغة، ونذر حياته لتدريسها مدرساً لامعاً وشاعراً مبدعاً.

وعلى الرغم من التزام الشاعر بقواعد اللغة واشتقاقاتها كأغلب شعراء الرومانسية، وإن أغرب في استخدامها، فإن من الظواهر اللغوية الملفتة في شعر حامد حسن خروجه على قواعد اللغة في استخدام جذور لغوية لا تبيحها قواعد اللغة، فنحن نعلم أن الكلمات الأعجمية الدخيلة على العربية بحكم علاقات التأثر والتأثير، والتلاقح الثقافي بين الأمم عبر التاريخ لم تبح قواعد اللغة باستخدامها في صورة أفعال، فلم نجد من قال عن النرجس: تنرجس، والزنبق: تزنبق، والإبريق: تأبرق. مثل تلك الاشتقاقات نجدها واضحة وجلية في إبداع حامد حسن الشعري، وفيما يلي نقدم شواهد على تلك الظاهرة. يقول حامد حسن[26]:

وهذا الشاطئ الخضل المدمّى تعندم رمله والصحصحانُ

وقال[27]:

وهل حليت ونيسنت الروابي أم افترش السفوح الزعفران

وقال[28]:

ودم الشهادة لو تحدّر عابراً في الجمر أعشب في اللهيب

وقال[29]:

وتوهج الشفق الذبيح على الربى من قاسيون ونيسنت تلك الربا

إذا عدنا إلى الأبيات السابقة نجد الشاعر قد استخدم صيغاً لغوية لم تألفها المعاجم اللغوية، مثل: تعندم: من العندم وهو لون الدم، ونيسنت: من نيسان، ومثلها تزنبق: من الزنبق، وتموسق: من الموسيقا. ومن هذا الكثير في شعر حامد حسن.

وهذا في رأينا ليس عيباً في شعر حامد حسن، وإنما هو فضل يسجّل له، وحالة إبداعية تفجّر طاقات اللغة وتخرجها من قوالب الجمود التي وضعتها فيها النظرة الكلاسيكية إلى اللغة، وتدفعها قدماً في طريق التطور والتجدد.

ثالثاً: الموسيقا الشعرية

وفّر الشعراء الرومانسيون لأشعارهم غنائية عذبة، إذ اهتموا بالموسيقا الداخلية التي تصدر من رقة في الصياغة وانسجام في اللفظ مع اللفظ، كما اهتموا بالموسيقا الخارجية التي تأتي من الأوزان العروضية حين تنسجم مع الموضوع وينساب فيها النغم بطلاقة ورقة[30].

والشاعر حامد حسن من الملتزمين بهذه النظرة قولاً وإبداعاً، وهذا ملمح مهم من ملامح الشعر الرومانسي الموصوف بالشعر الغنائي، فالشعر عنده همسُ ووشوشة في قوله: ((إنّ حرفاً مهموساً، ووشوشة ناغمة، لفظة، تعبيراً، صورة، تستوقفك في كلماتي، تشعرك أغنى مما كنت، تجعلني سعيداً))[31].

(26) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 337.
(27) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 338.
(28) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 350.
(29) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 261.
(30) : د. نسيب نشاوي: المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 164.
(31) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 9.

والشعر عند حامد حسن، غناء يفرح ويسرُّ الآخرين، ولكن كما يشتهي الشاعر، لا كما يشتهي الآخرون، في قوله: ((قد يطيب لك، يسرّك، يفرحك، أن أتغنّى ذاتك ميولاً، ونزعاتٍ، وأهواءً، ورغباتٍ... إن فعلت هذا، شيئاً من هذا، أكون تنكرتُ، خنتُ القضية، قضية الأدب الحق))[32]. والمهم هنا أن الشعر عند حامد حسن هو غناء. غناء الذات المبدعة التي تعبّر عن نفسها، وليس غناء خادعاً يعبر عن ذوات الآخرين، وإلا كان كذباً وتملقاً. والموسيقى في الشعر عنده هي: ((تناغمٌ، تساوق، انسياب، هذه هي الموسيقى))[33].

والشاعر حامد حسن في حديثه عن الشعر المنثور الذي يسميه ((النثير))، يؤكد على قضية الغنائية التي يعتبرها الحد الفاصل بن الشعر والنثر، فالكلام مهما حاز من صور وبلاغة، لن يكون شعراً إذا افتقد الغنائية، يقول: ((ولكنه، مع كل هذا، يظلُّ نثيراً يلحق بزمرته وفصيلته يعوزه النغم، وتنقصه الغنائية، والوقوف على حدود النهايات، والنغم والغنائية عنصران أساسيان في الشعر))[34].

وتأتي أهمية الغنائية والنغم في رأي حامد حسن من أنهما: ((يهيئان النفس، يعدانها لقبول الأثر، ينسابان إلى أعماقها، يستثيران كامن المشاعر، يوقظان أدق الأحاسيس، يلهبان العواطف))[35].

وإذا عدنا إلى إبداع حامد حسن الشعري، يمكننا القول: إن جميع أفكاره في موسيقا الشعر قد انعكست في إبداعه الشعري ، فمن حيث الإيقاع الداخلي بنى شعره على أساس استخدام العبارة الرشيقة والأنيقة وعلى انسجام اللفظ مع اللفظ في سياق منسجم متساوق، ينساب كجدول عذب، يدغدغ الأحاسيس والمشاعر، ويلامس شغاف القلب فلنستمع إليه إذ يقول[36]:

وعطّر الحبّ أشعاري ولوّنها — من لوّن النغم المهموس في وتري
لم يزرع الله كل الحب في كبدي — إلا لأزرع قلب الجمر والحجرِ

في البيت الأول استخدم الشاعر الفعل الماضي في ثلاثة مواضع بصيغة واحدة هي: فعَّل، وذلك في: عطّر، لوّن، لوّن، مما يحقق الانسجام الإيقاعي لتلك الأفعال، كما استخدم في البيت الثاني فعلين مضارعين هما: لم يزرع، لأزرع، لتحقيق تلك الغاية. كما استخدم في البيتين الجذور اللغوية: عطرٌ، حبٌّ، شعرٌ، نغم، همس، وترٌ، كل الكلمات المستخدمة في البيت الأول، ألا تعود إلى جذر إيقاعي واحد متناغم متساوق؟ ألم يصرح الشاعر أن هذا الشعر هو نغم مهموس وتقاسيم على وتر، وهذا يؤكد اهتمام الشاعر بالإيقاع الداخلي للكلمات التي تضج بالنغم والموسيقا بحيث تأتي مفعمة بالحرارة والإحساس والعاطفة وهذا من صميم الرومانسية.

(32) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 12.
(33) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 19.
(34) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 21.
(35) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 22.
(36) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 240.

ومن شواهد اهتمام الشاعر بالنغم والإيقاع رؤيته للشاعر حسوناً يغرد على أفنان الجمال أعذب الألحان، قوله في رثاء الشاعر وصفي قرنفلي[37]:

مضى وخبأه في صدره الأبد وغصّ باللحن والأغرودة الغرد

والشعر عند حامد حسن عزف على وتر البيان، وأغنية على الشفاه ونغمة في ترنيم جدول، ولكي يكون كذلك، لابد أن يختار له الشاعر أعذب الألحان كما في قوله في رثاء الشاعر رفيق فاخوري[38]:

ستظلُّ في وتر البيان قصيدة وعلى شفاه الفجر رشة عندم
وإذا الشتاء أتى أحالك نغمة في الجدول المترنّح المترنّم

أما بالنسبة إلى الإيقاع الخارجي والمقصود به هنا الوزن العروضي فقد التزم الشاعر أوزان الخليل، فلم يحد عنها كالعديد من الشعراء الرومانسيين، الذين تركوا أوزان الخليل إلى ما سمي شعر التفعيلة. لقد بقي الشاعر حامد حسن وفياً لأوزان الخليل محافظاً على وحدة الوزن والقافية وحرف الروي، فمن خلال دراستنا لمجموعته الشعرية لم نجد قصيدة واحدة تخرج عن بحور الخليل في الوقت الذي خرج فيه معاصروه من الرومانسيين في أغلبهم على تلك البحور، فمن حافظ على وحدة الوزن لم يحافظ على وحدة القافية وحرف الروي، فتحولت القصيدة عندهم إلى مقاطع، قد يعتمد الشاعر في كل مقطع على قافية مختلفة، وحرف روي مختلف، وأحياناً يخرج إلى وزن مختلف.

إن ما يميّز إبداع حامد حسن الشعري أنه يختار لكل موضوع شعري ما يناسبه من الوزن والإيقاع ففي الموضوعات القديمة يختار البحور الطويلة هادئة النبرة كالقصائد الوطنية الطويلة، وفي الموضوعات الوجدانية الذاتية نرى القصائد القصيرة ذات البحور الخفيفة القصيرة التي تأتي في الغالب مجزوءة ولا نجد هنا متسعا في دراستها.

رابعاً: الرؤية الفنية

يرى الدكتور عز الدين إسماعيل أن الرؤية الفنية، هي: ((طريقة خاصة للتعامل مع هذا الواقع، تنعكس على مفهوم الشاعر وتصوره للأشياء. فالشاعر حين يقترب من الواقع، إنما يقترب منه بوصفه شاعراً، أي بوصفه قادراً لا على الانفعال بالأشياء فحسب، بل التفاعل معها كذلك. والعمل الفني لا ينشأ إلا إذا قامت بين الفنان وموضوعه حالة توتر، أي حالة تفاعل مشترك. ولماذا لا نقول إنها حالة جدلية من الطراز الأول))[39].

ويقسم الرؤية الفنية للواقع إلى ثلاثة أنماط، هي: الرؤية الكلاسيكية للواقع، والرؤية الرومانسية للواقع، والرؤية الواقعية الفنية للواقع. وما يهمنا هنا الرؤية الرومانسية التي يقول عنها: ((إن الرؤية الرومنتيكية ترفض الواقع حقاً، ولكن هذا الرفض لم ينشأ بالضرورة نتيجة موقف جدلي منه، بل هو رفض مسبق إذا صح التعبير، وهو بذلك يعدّ إلغاءً للموضوع الأساسي، أي إلغاء للواقع نفسه، أكثر منه رفضاً له))[40].

(37) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 363.
(38) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 381.
(39) : د.عز الدين إسماعيل: الشعر المعاصر في اليمن، مرجع سابق، ص 195.
(40) : د.عز الدين إسماعيل: الشعر المعاصر في اليمن، مرجع سابق، ص 200.

ويوجز القول في حديثه عن الرؤية الرومانسية، فيقول: ((إنه حيثما وجدنا الواقع في العمل الشعري ملغى، ووجدنا بديلاً منه، مهما تكن طرافة هذا البديل وجاذبيته، وسواء أكان مثالياً أم خيالياً، فإننا عندئذٍ نحكم على هذا العمل الشعري بأنه منطلق من رؤية رومنتيكية))[41].

من خلال تركيزنا على ملامح القصائد ذات الطابع الرومانسي في إبداع الشاعر حامد حسن نجد في العديد من القصائد ذات الطابع الرومانسي إلغاء للواقع الموضوعي، ونجد بديلاً عنه واقعاً من صنع الشاعر، قد يكون خيالياً أحياناً ومثالياً أحياناً أخرى، أو قد يجمع الاثنين معاً. فكيف تجلت ملامح الرؤية الرومانسية في إبداع الشاعر؟

يقول الشاعر في قصيدة بعنوان ((**طيف**))[42]:

أتراه: أحبّ، تساءلتِ	**يا أنتِ أظنّ توهمتِ**
رحّلت القلبَ وفرحته	**والحبَّ غداة ترحَّلتِ**
دغدغت جفوني زائرة	**من أين؟ وكيف توصلتِ**
من أنت؟ وغصت نافذتي	**بالعطر لأنك غمغمتِ**
البيت تراقص جنّ أما	**عطّرت البيت ولونتِ**
والشمعة تخفق نائسة	**إن مال النور تمايلتِ**
ناداك دعاك دمي وفمي	**ويداي فكيف تشاغلتِ**
فزحفت إليك على مقلي	**ومددت يديّ فأجفلت**
فأفقت لأسخر من حلمي	**وصحوت لأغرق في الصمتِ**
وعلمتُ ولكن بعد غدٍ	**ما كنت هناك ولا كنتِ**

يروي لنا الشاعر حامد حسن في هذا المشهد الشعري حكاية مغامرة عاطفية عاشها الشاعر كحلم من أحلام اليقظة، فوضعنا في مشهد تتضارب فيه الأحاسيس والمشاعر، وتتصارع فيه قوى الوصل والجفاء، الإقدام والإحجام، الحقيقة والوهم، الرضى وعدم الرضى، الحيرة والتساؤل...

من عنوان القصيدة: طيف، يظهر أن هذا المشهد يجري خارج إطار العالم الموضوعي فهذا الطيف هو طيف حبيبة هجرت حبيبها دون مبرر ودون سابق إنذار، وهي تعود اليوم لتتساءل: هل أحبّ من بعدها، ويأتيه الجواب كالطعنة في القلب يعيد فتح الجرح فيخاطبها: يا أنتِ، ويصفها بالتوهم وأنها لا تعرف صدق مشاعر الحب ،لأن الذي يحب لا يمكن أن ينسى أبداً، ويبدو من موقف الشاعر أنه هو الذي عاش حالة الوهم حالة الحب من طرف واحد، حب المحروم، ويبدو أن العلاقة بينهما كانت علاقة مسايرة فهو الذي يجري وراءها وهي التي تتشاغل عنه، وهي التي جفلت منه حين اقترب منها.

وعلى الرغم من كبرياء الشاعر، لا يملك حيلة تكبح هذا البوح وكشف عمق الفجيعة التي يعيشها في فراغ عاطفي وحب من طرف واحد لم يثمر. إذن هذا هو الواقع الحقيقي الذي يعيشه الشاعر كابوساً من الفراغ والحزن

(41) : د.عز الدين إسماعيل: الشعر المعاصر في اليمن، مرجع سابق، ص 200-201.

(42) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 207.

والحرمان، وهو لا يملك معالجته إلا من خلال الفرار منه إلى واقع خيالي يستحضر فيه طيف المحبوبة ليحول الجفاء في الواقع إلى لقاء في الحلم، وينقلنا الشاعر على جناح الحلم إلى مشهد عاطفي عابق بعطر اللهفة، وعبير الشوق، وبهجة اللقيا، ولكن حتى الحلم لم يستطع أن يغير ويشعل برودة المشاعر وجدية الحب عند الطرف الآخر، ولكن سرعان ما يستيقظ الشاعر من حلمه المخملي، ليعود ثانية إلى حالة البؤس والحرمان منتظراً حباً بحجم أحاسيسه ومشاعره وقلبه الكبير.

إن مثل هذه الرؤية عند الشاعرلا تصدر إلا عن رؤية رومانسية تلغي الواقع الموضوعي ليعيش الشاعر واقعاً خيالياً مثالياً يمثل حلماً من أحلام اليقظة.

وفي قصيدة ثانية بعنوان ((**خطايا وآثام**))[43] ينقلنا الشاعر إلى مغامرة عاطفية أخرى، ولكنها من لون آخر، ونحن نعلم كم يحنُّ الشاعر إلى حضن امرأة، تغمره بالعاطفة والدفء، ويعيش معها حرارة الرجولة والغريزة، وعندما يجد نفسه وحيداً بائساً محروماً، لابد له من أن يخلق ذلك العالم الذي يحلم به، ويعيشه ولو خيالاً، ووهماً. يقول الشاعر في تصوير تلك المغامرة العاطفية:

أطفئي مصباحنا جاع السرير	**واهدئي لا تجزعي نام الضميرُ**
نعس النجم على نافذتي	**وغفا كأس سميري والسميرُ**
سكر الليلُ، وغنّى كلما	**نغّم الهمسة، أو هفّ الحريرُ**
نزل الصيف ضلوعي ودمي	**بعدما عربدَ فيها الزمهريرُ**
وتحدى الشمس جفني بعدما	**أكل النوم جفوني، والفتورُ**
وخطايانا على آثامها	**إنها في رفة النور عطورُ**
يتشهّى يحلم الفجر بها	**كيف لا يحلم بالكنز الفقيرُ**

يدعو الشاعر شريكته أو سميرته إلى السرير، وهي حالة عادة ما ينتهي إليها مجلس شراب بين رجل وامرأة في خلوة عاطفية غير شرعية، هي دعوة إلى إشباع جوع الغريزة بين رجل وامرأة فالجوع في نبض الشاعر، وليس في الفراش. إن فحيح أفاعي الرغبة أصبح مسموعاً، والجوع أصبح صارخاً، جوع، قلق، اضطراب، خجل، وإلا لم الدعوة إلى إطفاء المصباح، والاطمئنان على نوم الضمير، تبدو هذه المغامرة بالنسبة إلى الشاعر وجليسته وكأنها تجربة أولى، وخطيئة أولى، يخاف منها الشاعر المغامر، ويخاف أن ينزلق في طريق الغواية فيصبح عبداً للشهوة، وأسيراً لغواية الشيطان, والسؤال الذي يطرح هنا، قد يكون الشاعر قد عاش مثل هذه الهواجس، ولكن هل عاشها حقيقة؟

إن من يعرف وقار حامد حسن، ورصانته، وضميره الحي وترفعه عن الصغائر والدنايا، يدرك أن هذه المغامرة ليست أكثر من حلم رومانسي ودعوة لم تكتمل، لأنه لا يوجد في سياق القصيدة ما يوحي بذلك، وهذا ما يؤكده قول الشاعر: ((كيف لا يحلم بالكنز الفقير))، وحلم الفقير بالكنوز لا يجعله غنياً.

إذن نحن أمام رؤية رومانسية تلغي الواقع الموضوعي، وتنقلنا إلى واقع خيالي يخلق الشاعر فيه معادلاً موضوعياً لإشباع الجوع العاطفي الذي يعيشه الشاعر. وقد وجد التحليل النفسي للأدب أن الشعراء الذين يحاولون إيهام

(43) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 165.

القراء بالقيام بتلك المغامرات العاطفية مع النساء، هم أكثر الرجال حرماناً من النساء، أو فشلاً في الحياة معهن.

خامساً: ملامح رومانسية أخرى

أ. الشعور بالوحدة والعزلة: من عادة الشعراء الرومانسيين أن يميلوا إلى الانطواء والعزلة والشكوى من الوحدة والوحشة ،وعند حامد حسن مشاهد من هذا الشعور، منها قوله[44]:

رضيت واتخذا من غرفتي سكنا — صمت الدجى... وسراج خافت وأنا
فنمضغ الصمت في جوع فيوسعنا — جوعاً، وندفع من أنفاسنا ثمنا
صمت، رهيب، عميق، واسع، — به خيالات أمسي، والرؤى سفنا

إذن الصمت الرهيب، العميق، الواسع في حضرة سراجٍ خافت وليل طويل صورة من صور الشعور بالوحدة والعزلة التي يعيشها الشعراء الرومانسيون.

ب. تمجيد الألم: ومن الملامح الرومانسية في إبداع الشعراء الرومانسيين تمجيد الألم والتلذذ بوقوعه، يقول حامد حسن[45]:

شاعرٌ إن يعبس الدهر ابتسم — عاش أغنى الناس لكن بالألم
مرحباً بالجرح هداراً... ولا — بورك الجرح إذا الجرح التأم
ألمٌ شعر عذابٌ، كلها — نعمٌ، فليغدق الله النعم

إن تمجيد الألم واعتبار العذاب نعمة من نعم الله تعالى، لا يظهر إلا في إبداع شاعر رومانسي، لأنه يعدّ الألم مظهراً ومحرضاً على الإبداع الشعري لأن أغلب الشعر الرومانسي هو وليد الألم والمعاناة.

ج. حب الطبيعة: الشاعر الرومانسي من محبي الطبيعة لأنها ملاذه يهرب إليها حضناً دافئاً يشكوها ألمه وأحزانه وإن كان حامد حسن لم يصل إلى هذه الدرجة لأنه أصلاً نشأ وترعرع في أحضان الطبيعة الريفية الساحرة لذلك يكثر من استخدام مفرداتها في إبداعه الشعري، ويظهر ذلك في العديد من القصائد ((**ريف وريفيون**))[46]، ((**قريتي تحلم**))[47]، ونقتطف هنا شاهداً من قصيدة ((**تلفقك اللظى**))[48] قالها في تأبين الشهيد عدنان مخلوف:

وعلمنا شموخك كيف ندّت — لتسكن جارة القمر القنانُ
فهل نزل الربيع نديّ طلٍ — هناك؟ وهل تبرجتِ الجنان؟
وهل حليت، ونيسنت الروابي — أم افترش السفوح الزعفران؟
وسقسق جدول الوادي، وغنّى — وضاحك عدوتيه الأقحوان

(44) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 231.
(45) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 47.
(46) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 217.
(47) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 223.
(48) : حامد حسن: المجموعة الكاملة، مرجع سابق، ص 338.

إن النص السابق عابق بمفردات الطبيعة الريفية الساحرة التي عشقها حامد حسن، وترنّم في أحضانها الخلابة أعذب الألحان فحتى في رثاء شهيد لا ينسى الشاعر الروابي، والسفوح الخضر وما تزهو به من زهور برية رائعة، كما لا ينسى الوادي، وجداول المياه المتدفقة التي ترقص وتغني، ومثل هذا الشعر لا يصدر إلا عن روح عاشقة للطبيعة، ونفس رومانسي واضح المعالم.

إضافة إلى ما تقدم نجد في شعر حامد حسن الكثير من البوح الذاتي والعاطفة الجياشة، والخيال المجنح، والغنائية العذبة وكلها ملامح رومانسية واضحة المعالم.

الخاتمة:

حامد حسن شاعر من الصعب تحديد موقعه في المدارس والمذاهب الأدبية، فقد تراه كلاسيكياً في موضوعاته التقليدية وقوة تعبيره وعقلانيته فيما ينثره من حكم ومواعظ، وقد تراه رومانسياً في ذاتيته وشعره الوجداني وغنائيته العذبة، وفي خياله المجنح وعاطفته الجياشة. وقد توصلنا في هذه الدراسة من خلال بحثنا عن الملامح الرومانسية في شعره إلى النتائج الآتية:

1- حملت الصورة الشعرية من ملامح الرومانسية عند حامد حسن الاعتماد على الخيال المجنّح، متجاوزة الصورة القديمة، صورة التقليد والمحاكاة المكرورة، فجاءت جديدة مبتكرة مشحونة بعواطف إنسانية حارة، تعتمد بشكل واضح على استخدام مفردات الطبيعة في بناء الصورة، وإن كانت تعتمد على أصول البلاغة القديمة من تشبيه واستعارة، فهي صور إبداعية خصبة، يحملها الخيال المجنح إلى عوالم غريبة، وهي أقرب إلى الصور التعبيرية بسبب التباعد بين طرفي التشبيه والاستعارة وغرابة وجه الشبه.

2. لقد اعتمد حامد حسن في لغته الرومانسية على العبارة الرشيقة، والصياغة الأنيقة، فجاءت تلك اللغة مألوفة مأنوسة قريبة من لغة الحياة اليومية، من دون أن ينقص ذلك من فصاحتها، وقوتها التعبيرية، وهي لغة مشحونة بطاقات عاطفية وخيالية رقيقة متناغمة بعيدة عن التراكيب والقوالب الجاهزة.

وإن اتسم إبداع الشعراء الرومانسيين بعدم الميل إلى الخروج على قواعد اللغة واستخدام اشتقاقات جديدة، لا تبيحها المعاجم اللغوية، فقد ظهر جلياً عند حامد حسن عدم الالتزام بهذه السمة، فقد قدّم عدداً لا بأس به من الاشتقاقات التي لم تعرفها معاجم اللغة ولا قواعدها مثل: تعندم، نيسن، تموسق، تزنبق...، كما نجده يستخدم عدداً لا بأس به من الكلمات الفصيحة الغريبة على لغة الشعر بشكل عام، والرومانسي منه بشكل خاص، مثل: (السفوح الفيح، القمم الشجيرة، لهيفاً، تقيّل، تذهّب، يستتيبهم...).

3. اهتم الشاعر حامد حسن في إبداعه الرومانسي بالموسيقا الداخلية والخارجية، وقد تجلّى اهتمامه بالموسيقا الداخلية في الغنائية العذبة التي تصدر عن رقة الصياغة، وانسجام اللفظ مع اللفظ، فالشعر عنده همسٌ ووشوشة، وهو غناء الذات المبدعة. والموسيقى عنده تناغم وتساوق، وانسيابٌ كجدول عذب، يدغدغ الأحاسيس والمشاعر، ويلامس شغاف القلب. فالشاعر عنده حسون يغرد على أفنان الجمال أعذب الألحان، والشعر عنده عزف على وتر البيان، وأغنية على الشفاه، ونغمة في ترنيم جدول، ولكي يكون كذلك، لابد أن يختار له الشاعر أعذب الألحان، وقد عكس الوجه الرومانسي لإبداع حامد حسن كل ما آمن به عن حقيقة الشعر.

أما بالنسبة إلى الإيقاع الخارجي، والمقصود به الوزن العروضي، فقد التزم حامد حسن أوزان الخليل، وكان وفياً لها، واختار منها ما يلائم شعره الذاتي الوجداني ملتزماً وحدة الوزن والقافية وحرف الروي بعكس العديد من شعراء الرومانسية.

4. لقد تجلت الرؤية الرومانسية في قصائد حامد حسن ذات الصبغة الرومانسية في إلغائه للواقع الموضوعي والإتيان بواقع آخر قد يكون خيالياً، أو قد يكون مثالياً، أو يكون الاثنين معاً، وقد ظهر ذلك في قصائد تحدث بها عن الحب، والمغامرات العاطفية كقصيدة ((**طيف**))، وقصيدة ((**خطايا وآثام**)) التي لم تكن أكثر من مغامرات خيالية لأن من يعرف وقار حامد حسن، ورصانة شخصيته، وضميره الحي، وترفعه عن الصغائر والدنايا، يدرك أن مغامراته العاطفية الماجنة، لم تكن أكثر من شطحات خيال خصب همسها في أذنه شيطان الشعر.

إضافة إلى هذه الملامح الفنية المذكورة لابد من الإشارة إلى ملامح معنوية أخرى مثل الشعور بالوحشة القاتلة، وتمجيد الألم والتغني بالطبيعة وغيرها.

⁂

المراجع:

1. إسماعيل، عز الدين: الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، ط 5، دار العودة، بيروت، 1988 م.
2. إسماعيل، عز الدين: الشعر المعاصر في اليمن، ط 2، دار العودة، بيروت، 1986 م.
3. إسماعيل، عز الدين: التفسير النفسي للأدب.–دار المعارف القاهرة،1963 م .
4. تليمة، عبد المنعم: مقدمة في نظرية الأدب، ط 2، دار العودة، بيروت، 1979 م.
5. حسن، حامد: المجموعة الكاملة، من دون ناشر، من دون تاريخ.
6. خوري، إلياس: دراسات في نقد الشعر، ط 1، دار ابن رشد للطباعة والنشر، 1979 م.
7. دهمان، أحمد: الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجاً وتطبيقاً، ط 1، دار طلاس، دمشق، 1986 م.
8. القضماني، رضوان: مبادئ النقد ونظرية الأدب، منشورات جامعة البعث، مديرية الكتب والمطبوعات، 1995–1996 م.
9. نشاوي، نسيب: المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، من دون ناشر، دمشق، 1980 م.
10. اليافي، نعيم: مقدمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1982 م.

⁂